فـن الحجـاج فـى مقالة
(أهو شِرْكٌ من نوع جديد؟!) للدكتور زكي نجيب محمود

د. سعدية مصطفى محمد
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الألسن- جامعة عين شمس

ملخص البحث :

قصدتْ هذه القراءة النصية إلى الكشف عن فاعلية الحجاج فى بنية النص المقالي . وقد تأطرّت الدراسة حول بعدين رئيسين هما :

أولا : البعد النظري ، وتطرّق إلى تحديد مفهوم الحجاج .

تتسع رقعة البحث فى مجال الحجاج؛ لتشعّب مجالاته، فهناك حجاج بلاغي ، وآخر حجاج لغوي ، وثالث فلسفي ، وسياسي ، وغيرها

ثانيا : البعد الإجرائي ، اخترتُ مقالة (أهو شرك من نوع جديد ؟!) للدكتور زكي نجيب محمود، وقمتُ بتحليلها مستعينة بآليات الحجاج ، وانتقيت المنهج البلاغي ل (بيرلمان) والمنهج اللغوي ل (ديكرو) وأخيرا المنهج الإحصائي .

نتائج البحث :

أولا : العنوان ، نجح فى إثارة انتباه القارئ لاعتماده على الاستفهام الذى خرج عن حياديته ؛ إلى الاستنكار ، مما جذبنا لسبر أغواره .

ثانيا : الاستهلال ، استدعى المؤلف عبارة منطوقة ، متداولة فى الوسط الإسلامي وهى (أشهد أن لا إله إلا الله) وهى الدُعامة / الحجة التى أقام عليها دعائم مقالته .

وقد أضافت دلالة جديدة فى المدوّنة الإسلامية وتعني : التفرّد / الحرية .

ثالثا : الأطروحة ، وقد استغرقت خمس عتبات حجاجية ، وكانت المعاودة سمة أساسية فى المقالة .

رابعا : الخاتمة ، وهى النتيجة التى يلحّ فى التذكير بها ؛ وهى :

يحقق كل فرد فرديته الكاملة دون أن يخرج عن الرأي السائد .

الكلمات المفتاحية :

مجال البحث : الدراسات اللغوية .

كلمة محورية من العنوان : الحجاج .

ثلاث كلمات من المحتوى : فردية – الرأي العام – أشهد

The summary

The objective of this research is revealing the efficacy of the argument through the essay.

The dimensions of this research are

A - The theoretical dimension that reveals the definition of the argument. There are lots of argument's kinds: the rhetorical argument, the linguistic argument, the philosophy argument, the political argument.

B - The applied dimension where I choose the essay named "is that a new kind of unbelief "? which is written by Dr. Zaki Nagib Mahmoud .

I analysed the essay by using the theories of the argument.

I choose the rhetorical method of "Perliman", the linguistic method of "Decruot" and finally the statistical method.

The results of the research:

A -The title is managed to attract the reader because the writer used the question that passed from the neutrality to the negation.

B The introduction where the writer used the oral sentence in the Islamic nation that:" I pair witness that there's no god but Allah".

This sentence is performing the confutation in his essay.

C -The subject containse5 argumentative basis where the recurrence was an essential element.

D-The termination of the research is the result which the writer affirmed its importance:

"Everyone realized his total personality without digressing the common opinion".

فن الحجـاج فـى مقالة (أهو شِرْكٌ من نوع جديد؟!) للدكتور زكي نجيب محمود

المقدمة :

قصدتْ هذه القراءة النصية إلى الكشف عن فاعلية الحجاج فى بنية النص المقالي وقد تأطرّت الدراسة حول بعدين رئيسين هما : أولاً : البعد النظري ، قمتُ بتحديد مفهوم الحجاج ، وتتسع رقعة البحث فى مجال الحجاج ؛ لتشعّب مجالاته ، فهناك حجاج بلاغي ، وآخر حجاج لغوي ، وثالث فلسفي وسياسي وغيرها .

ثانيا: البعد الإجرائي ، اخترتُ مقالة (أهو شِرْكٌ من نوع جديد ؟!) للدكتور زكي نجيب محمود ، وبخاصة أن كثيرا من كتاباته تثير الخلافات والتساؤلات ، وهذا جوهر الحجاج .

ذكرتُ نبذة عن المؤلف ، وعرضتُ المقالة كاملة أثناء التحليل ، وكانت طويلة

حيث استغرقتْ إحدى عشرة صفحة ، وتندرج تحت (المقال الجدلي)

اعتمدتْ الدراسة على الحجاج البلاغي ل(بيرلمان) والحجاج اللغوي ل(ديكرو) وارتضيتُ المنهج التحليلي ، والاحصائي فى بنية الخطاب المقالي .

وسبقتني فى البحث الباحثة دينا محمد فهمي عيسى برسالة ماجستير بعنوان : (تقنيات الحجاج فى فن المقال عند زكي نجيب محمود) في كلية الألسن جامعة عين شمس عام ٢٠١٣م .

ولقد أفدتُ من بعض المراجع أهمها:

١) د. شكري المبخوت: نظرية الحجاج فى اللغة.

٢) د. عبدالله صولة: فى نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)

٣) د. سامية الدّريدي: الحجاج فى الشعر العربي (بنيته وأساليبه)

وبدأتْ خطوات البحث من (العنوان) الذى يصاغ فى صورة استفهام استنكاري وهو عامل من العوامل الحجاجية .

** سأقسّم البحث إلى خمس عتبات حجاجية، وسأقوم بتحليل كل عتبة منتهجة آليات الحجاج ، كالآتي :

العتبة الحجاجية الأولى: شهادة المسلم دليل تفرّده / حريته.

الثانية: الإله الجديد (الرأي العام)

الثالثة: بين الرأي الفردي والرأي العام.

الرابعة: سطوة الرأي العام تعوق التقدم الثقافي.

الخامسة: بين الإرادة والعقل

خاتمة المقالة : النتيجة ، ثم سأعرض أهم النتائج التي توصّل إليها البحث .

مفهوم الحجاج :

بدأ مجال الحجاج L' argumentation منتميا إلى الخطابة الأثينية فى القرن الخامس قبل الميلاد . ثمّ أقام أرسطو(ت٣٨٤ ق.م) صرح النظرية الحجاجية ، من خلال كتابه (الخطابة) Rhetorique على عمودين هما : الجدل والخطابة وكان الجدل La dialectique أوسع من ناحية المفهوم عن الخطابة فقال : "فالريطورية قوة تتكلّف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأمور المفردة " (١) إن خطابته إقناعية ، لكنه لم يستعمل مصطلح (الحجاج)" فهو مصطلح

غير (محوري) فى شبكة المصطلحات الأرسطية ... استعمله فى درج التحليل... فكلمة (الحجاج) تدل على العملية القولية لا منتهاها... فنحن لا نحاج للمحاجة ؛ بل نحقق بعمل الحجاج أعمالاً بالقول عديدة "(٢) و فى القرن التاسع عشر خفت ضوء الخطابة ، وتوقفت البحوث المتعلقة بها .
** فى القرن العشرين نهضت الخطابة فى ثوب قشيب على يد (بيرلمان وتيتكاه)
حين ألفا كتاب (مصنّف فى الحجاج – الخطابة الجديدة) عام ١٩٥٨م ، وقد عرّفاها بقولهما :" موضوع الحجاج : هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد فى درجة ذلك التسليم "(٣) وانفصل مفهوم (الحجاج) عن الخطابة والجدل ، وأصبح مبحثاً فلسفياً ولغوياً قائماً بذاته ، واتجه الكُتاب إلى الاهتمام به ، لأن الإقناع من العوامل المكوّنة لخطابات الإعلام ، والسياسة ، وهذه تفرض قوتها وخطورتها فى عالم اليوم ؛ بل وتصنع قيم الإنسان المعاصر .
** يعرّف ابن منظور (ت٧١١هـ) الحجاج : بأنه يدل على القصد والرجوع ٢) الغلبة ، يقول : " * حجج* الحجّ : القصد . وهو رجل
محجاج أى جدل . والتحاج : التخاصم . وحجه يحجه حجاً : غلبه على حجته "(٤)
أما المعنى الاصطلاحي فهو : " كل منطوق به موجه إلى الغير ؛ لإفهامه دعوى مخصوصة ، يحق له الاعتراض عليها " (٥)
يعدّ الحجاج الآن إشارة ثقافية معرفية ، فيغدو نصه مترابطا ، ومن ثمّ يتخذ بعداً تواصلياً " التحديد الحجاجي يجعل الحجاج يكتسي قيمة ضدية ، أو قيما متضادة تنبني فى طبيعتها على الإشكالي والجدلي فى إطار الفكر والثقافة ... الحجاج بفعل اتكائه على اللغة ، واستثماره لجهازها المفاهيمي ، والمجازي فى التموضع النسقي ، يغدو واقعة معرفية ثقافية ، ترتهن دائما على تعددية اللامتوقع " (٦)

المقالة:
المعنى الاصطلاحي لها أنها " بحث قصير فى العلم أو الأدب أو السياسة أو الاجتماع ، يُنشر فى صحيفة أو مجلة (محدثة)" (٧)
عُرف فن المقالة (أو المقال) حديثاً ، وشاع فى لغة الحياة اليومية فى الجرائد .

زكي نجيب محمود (١٩٠٥م – ١٩٩٣م)

أحد أبرز أعلام الفكر العربي فى القرن العشرين ، أفردت له الساحة الأدبية والثقافية مكانة مرموقة ؛ لما انماز به من التفرد ، والجرأة فى التعبير عن رأيه ، ولما له من أسلوب إقناعي بلاغي ، يخلب اللب ويثري الفكر معا ، لكنه أثار جدلا كبيراً فى أفكاره ؛ حتى اختلف المثقفون فيه " فمنهم من رأى فيه علامة فارقة خارقة فى نهضة الأمة ، وقيادتها إلى المستقبلية ، ومنهم من رأى فيه خصماً للتراث والهُوية والعروبة ، وإن كان يزعم أنه يدعو إلى تطور العرب وتقدمهم . ارتبط إيمانه بالوضعية المنطقية ، والإيمان بالغرب فكراً وقيماً وعادات وتقاليد ؛ حتى وصل الأمر ببعضهم إلى نعته بالتغريبي .
ولد فى إحدى قرى محافظة دمياط فى مصر، ووافته المنية حتى ضعف بصره ، ومُنع من القراءة والكتابة ." (٨)

عنوان المقالة : أهو شِرْك من نوع جديد ؟!

العلة التى من أجلها كتب د. زكي مقالته : إظهار " جوانب الضعف ، واليأس والخمول ، وضيق الأفق التى لايخطئها بصر فى حياتنا الثقافية الراهنة وعقيدتي هى أن إدراك مواضع العلة هى أول خطوة على طريق العلاج والشفاء "(٩)

لقد نصّب نفسه طبيباً ؛ يشخّص المرض ؛ حتى يستطيع اقتلاعه من جسد العليل . وموضع الداء : إشراك غير الله بالعبادة . لذلك اختار عنواناً لمقالته تثير قلق المتلقي ، وبخاصة أن المسلم فى عصرنا ما عاد يعالج موضوع (الشِرْك) حيث استقرّ قلبه على وحدانية الله ، لكنه يحرّك عواطفه لاستقبال هذا التساؤل الذى خرج عن حياديته ، فغدا مجازياً لايحتاج إلى جواب ؛ بل غايته الاستنكار حيث سعى لتحضيره للنزال عندما بدأت المعركة من العنوان " ومن هنا ندرك أهمية المساءلة من الناحية الحجاجية ، إذ لمّا كان الكلام إثارة السؤال ، أو استدعاء له ؛ فإنه يولّد بالضرورة نقاشاً ، ومن ثمّة حجاجاً ، فإذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق ، وإذا بالحجاج ماثل فى كل نوع من أنواع الخطاب "(١٠)

العنوان :

(من العوامل الحجاجية) L' operateur argumantutif(همزةالاستفهام)

لقد تمثّل الحجاج منذ اللحظة الأولى بعنوان يعتمد على العدول من الخبر إلى الاستفهام واتضحت أهمية (الهمزة) ، تطبيقا لقانون الأنفع والأجدى فى الخطاب المقالي من عدة جهات :

أ) فالاستفهام (أهو شِرْك من نوع جديد ؟!) عوض عن (إنه شِرْك من نوع جديد) وأبلغ منه أيضا .

ب) المعنى الذى يتضمنه الاستفهام : (الاستنكار) أهم من الاستفهام ذاته " يرى (سورل) فى نطاق نظرية (الأعمال اللغوية) أن الاستفهام عمل لغوي ثانوي ، والمعاني التى أفادها من أمر ونهي وتقرير ونفي أعمالا أولية "(١١)

ت) الاستفهام عكس الاستنكار " فالمخاطب لا يكون مجرد شاهد ؛ بل هو معنّي بما يقال .

ث) إن العدول عن الطريقة (ب/ الخبر) إلى الطريقة (أ / الاستفهام) ينقل محتوى الكلام من احتمال أن يكون صادقا أو كاذبا إلى عدم احتمال ذلك ، فهو مجرد عمل لغوي حاضر فى المقام .

ج) العدول يضيف للكلام شيئاً لم يكن له ، وهوالذي يقوّي الاتجاه نحو (النتيجة) إن المعنى الثاني هو الذى يعمّق درجة الإقناع بالنتيجة "(١٢)

العتبات الحجاجية للمقالة :

أطلق هذا المصطلح Genette وهى " مكونات بنيوية متراصة ذات علاقات يسمح تفاعلها ، وتآلفها بإضفاء طابع خاص يتمثل فى كيفيات تأليف فضاء النص وتوزيع مكوناته وترتيبها"(١٣) وتشكّل هذه العتبات رموزاً نسقية حجاجية توضّح حقيقة العلاقة المتأزّمة بين الرأي الفردي والرأي العام .

العتبة الأولى: شهادة المسلم دليل تفرده / حريته.

يقول : " (أشهد أن لا إله إلّا الله) شهادة هي أول كلمة فى إسلام المسلم . يقول (أشهد) لتدل صيغة الفعل على أنه لمتكلم فرد مفرد فريد مسؤول عمّا يقول : إنه لايقول (نشهد) لينضم بشخصه إلى غيره من أبناء أسرته أو أمته ؛ لأنها شهادة يحملها مفردا ، حتى ولو لم يكن معه إنسان آخر من أهل الأرض جميعا . كلمة (أشهد) دالة وحدها منذ أول حرف من حروفها – حرف (الألف) – على أن الإيمان بالدين من شأن كل مؤمن على حدة ، يدفعه إليه ضميره ، وحتى حين يفرض عليه دينه بعد ذلك أن يجتمع مع شركائه فى الدين ، أن يجتمع معهم فى جهاد ، أو فى صلاة ، أو فى حج ، فذلك إنما يجىء بعد أن قال أصالة عن نفسه لاينوب عنه أحد (أشهد) بصيغة المتكلم المفرد .

والصيغة تبقى هي هي ، إذا كان المتكلم المفرد رجلاً أو امرأة ، حاكماً أو محكوماً ، غنياً أو فقيراً ، حراً أو مقيداً . فانظر إلى حرف (الألف) الذى هو أول حرف فى أول كلمة ، أول جملة يدخل بها المسلم فى دينه ، دين الإسلام .

انظر إلى هذا الحرف الواحد، كم يتضمن من مواثيق تضمن للإنسان فرديته ومسؤوليته إلا أنه أسلم ، وليكن بعد ذلك ذا مال أو ذا متربة ، صاحب سلطان أو مجرداً من كل سلطان " (١٤)

الاستهلال: (انتقاء حجاجي)

استهلّ الكاتب مقاله بشهادة التوحيد، التى ينطقها المسلم ؛ ليعلن بها إسلامه ، إنها الحجة التى يعتمد عليها فى إقامة دعائم مقالته.

" والافتتاح يكون الهدف منه: ١) إثارة اهتمام المتلقي ٢) وتهيئته لتقبّل مضمون الخطاب ٣) استمالته " (١٥) استدعى المؤلف لفظة (أشهد) حاملة دلالتين: الإذعان و التفرّد .هكذا بدأ بها مقالته وأنهى بها . إنها (الكلمة المفتاح) التى فتحت مغاليق الفكرة ، التى أراد الباث أن يتواصل بها مع الآخرين ويقنعهم بها ، عندئذ يضيف د. زكي إلى المدوّنة الإسلامية دلالة جديدة للفظة (أشهد) إنها تعني : التفرّد والحرية . من أجل ذلك تواتر استعمال هذه اللفظة ، فى صيغتها (الفعلية) أشهد : عشر مرات ، (والاسمية) ثماني مرات ؛ لأنها تمثل الدعم الرئيسي للأطروحة .

٢- الشهادة بين السلب والإيجاب :

" اهتم (ديكرو) Ducrut بظاهرة العوامل الحجاجية ، نظرا لما تحدثه من انسجام فى الخطاب ، وقيادة للمستمع إلى الاتجاه الذى يريده المتكلم ، والإخضاع له فهى تختص بالجملة كلها ، مثل : إدخال أسلوب الحصر والنفى عليها "(١٦)

ويتمثل طرفا الشهادة بين النفي والحصرإحدى العوامل الحجاجية ، وتعدّ إجابة عن تساؤل حقيقي يلقيه الكاتب على مسامعنا قائلا : " وبماذا يشهد الشاهد فى شهادته أن لا إله إلا الله ؟ إنه يقرر شيئين فى وقت واحد : أحدهما بالسلب ، وثانيهما بالإيجاب . وهو يبدأ بقراره السالب أولا، إذ هو يبدأ بأن يمحو الباطل ، ثم يعقّب على هذا بأن يثبت الحق ، فهو ينكر وجود آلهة أخرى ، لينتقل بعد هذا الإنكار إلى إثبات وجود (الله) لا إله –إلا- الله . وليس هذا التعاقب بين سلب الباطل قبل إثبات الحق أمرا جاء فى الشهادة مصادفة ، أو عن غير قصد ؛ بل إنه هو نفسه التعاقب الذى يحتمه منطق العقل فى كل منهج للتفكير السليم ؛ بل إنه تعاقب نلحظه فى حياة الناس العملية إذا ما

توافرت لهم أركان الفطرة السليمة ، فتراهم يزيحون الأنقاض قبل أن يقيموا البناء الجديد ، وينظفون البيت قبل تأثيثه بفرش نظيف .

وأما فى منهج التفكير العلمي : فهذا التعاقب بين إزالة الأخطاء القائمة قبل عرض الفكرة الجديدة ، أمره معروف للباحثين ، فتراهم يبدءون باستعراض ما قد قيل

فيما سبق عن الموضوع المطروح للبحث ، ليردّ الباحث تلك الآراء السابقة ، رأيا بعد رأي ، مقيما ردّه على بيان مواضع بطلانها ، حتى إذا ما خلت له الأرض ، أقام هو فكرته مقرونة بأدلة صدقه ، وعلى هذا التعاقب نفسه جاءت شهادة الشاهد بأن لا آلهة لها وجود إلا (الله) "

عناصر الإقناع :

إن الترتيب من السلب إلى الإيجاب يتفق مع دعائم ١) الفكر ٢) الحياة

٣) العلم ، وكلها تتبع الهدم أولاً ثم البناء .

من خلال جوانب الإقناع الثلاثة وطّد المؤلف غاية الحجاج : وهو إحداث التأثير العملي عن طريق (الفعل) الذى يمهّد له التأثير الذهني .

٣-آلية النقض : يتمثل ذلك فى قوله تعالى "لا إله" إنها إحدى رحى الشهادة ، يعدّد المؤلف أنواع الآلهة التى أمرنا بالتخلي عن عبادتها ، ويصوغها فى كفتين : الأولى يطرحها علينا ويرى أنه قد بطل مفعولها بالتقادم .

والثانية فى عدم ذكرها .

يقول : " كانت الآلهة التى جاءت بشهادة المسلم لتنفي عنها الوجود ، أول ما جاء الإسلام : أصناماً لها أسماء ، فهذا الصنم هو (اللات) وذلك هو (العزّى) وهكذا دار بنا الزمان قروناً تتلوها قرون ، حتى بعُد العهد بتلك الآلهة بعداً أصبح مستحيلاً معه أن يرتدّ عابد عن عقيدته ، ليعبد اللات أو ليعبد العزّى ، لكن ذلك الزمان نفسه الذى دار بقرونه ما دار ، إنما هو كالوحش الكاسر يتربّص بفرائسه أن يدبّ فى أنفسهم دبيب الضعف فيفتك بهم فتكاً لا رحمة فيه . فلئن استحال على الناس حتى وهم فى حالة الضعف ، أن يرتدّوا إلى عبادة اللات والعزّى ، فضعف نفوسهم كفيل أن يوسوس لهم فى صدورهم بما يحملهم على خلق أرباب أخرى من دون الله ولتلك الأرباب عندهم أسماء .

ولن أذكر هنا شيئاً عن رب عندهم اسمه (الذهب) ولا عن رب اسمه (السلطان) أو رب اسمه (الشهوة) تلك وغيرها صنوف من الآلهة عرفها الناس من أقدم قديم فى تاريخهم ، وجاءت الأديان ، وجاء المصلحون ؛ ليوقظوهم عن تلك الغفلة ، لكنها غفلة إذا استحكمت فى الغافي ، فهيهات له أن يفيق . وإنه لفى مستطاع الإنسان ، إذا كان قوي الروح ، مؤمناً بالله الواحد ، واثقاً فى نفسه ، عاقلاً ، حراً مسؤولاً أمام ضميره وأمام ربه الذى هو مؤمن به ، أقول : إنه لفي مستطاع الإنسان أن ينزع عن تلك الآلهة الزائفة شوكتها ، بحيث لا يكون لها القوة فى أن تملك عليه زمامه وتتحكم فيه ، بل يبقيها أدوات فى يديه ، يوجهها كما شاء لها هو لا كما تشاء هي له ، وعندئذ لا يُعاب فيه ذهب أو سلطان أو رغبة ؛ لأنها لم تعد الأرباب التى كانت يوم أن ذلّ لأحكامها وخشع"

تبدو أهمية النقض / النفي فى " تفتيت أسس الرأي المضاد ، وتثبيت بدله الرأي المتبنّى . فسياقه سياق الانتقاد والمنع والاعتراض "(١٧)

لذلك اكتفى المؤلف بالجانب السلبي ، الذي يستدعي الجانب الإيجابي المتبنّى وهو (إلا الله) / المعبود الله والذي يثير دهشتي : أنه ينفي التعرّض لبعض الأرباب ، ومع ذلك يرسم بدقة معالم طريقها .

لقد مال الكاتب إلى أسلوب حجاجي مؤثر حين يوقفك على شفا الجرف الذى يوهمك أنه لن يقترب منه ، ثم يزيحك فيه على مهل وروية ، فلا تشعر إلا باستقرارك فيه ، واقتناعك La persuasion به على حين غرّة ، حينئذ يستخدم أدوات بسيطة نحو : (لن ، لا)

٤ـ توظيف التكرار / المعاودة :

التكرار رافد من روافد الحجاج التى تكثّف أدلة الإقناع ، فتؤكد أهميته لأنه" يوفّر للحجج طاقة إضافية ، تُحدث أثراً جليلاً في المتلقي ، وتساعد على نحو فعّال في إقناعه ، أو حمله على الإذعان ؛ ذلك لأن التكرار يساعد أولاً على التبليغ والإفهام ، ويعين المتكلم ثانياً على ترسيخ الرأي أو الفكرة فى الأذهان"(١٨)

تترامى أوجه المعاودة كالآتي :

١) التكرار اللفظي : أ) لفظة (أرباب / ربّ) استعملت ست مرات .

ب) كلمة (الآلهة) تواترت أربع مرات .

ج) مفردة (أصنام /صنم) ذكرها مرة واحدة .

ثمّ يعدّد أسماء الآلهة ، فوردت (اللات والعزّى) ثلاث مرات . تواترت أسماء سائر الآلهة ، وهى : (الذهب ، السلطان) جاءت مرتين ، ثمّ كرّر (الشهوة ، ومرادفها : الرغبة)

٢)التكرار التركيبي : (إنه لفى مستطاع الإنسان) وردت مرتين .

٥ـ من تقنيات الحجاج : (حجة الاستعارة)

ولها قيمة حجاجية مهمة ، فالتصوير المجازي أقوى حجاجياً من المعنى الحقيقي (الزمان كالوحش الكاسر) ،(يتربّص بفرائسه) ، لاحظ الصفة الملحقة به (الكاسر) لتقوية الدلالة .

وتكثيف المعنى بانتقائه للمفعول المطلق : (يدبّ دبيب الضعف) (يفتك بهم فتكاً لارحمة فيه) المبين للنوع ، وكل هذا يعدّ من أساليب الإقناع .

ومن صورها (ينزع شوكتها) فهذا التصوير الحسي ، يضفي على اللفظة المعنوية (الآلهة) الروح والحياة ، ويهدف أن نجعلها وسيلة لا غاية ؛ فتتضاءل أهميتها وتنكمش سطوتها .

**** توجيهات تقييمية :**

اعتمد الكاتب على توجيهات تقييمية ، تعبّر عما يكنّه من مشاعر لهذه الآلهة ، فيصفها ببعض النعوت قائلا : الآلهة الباطلة ، الآلهة الزائفة ، لينفي عنها المقدرة

العتبة الحجاجية الثانية : الإله الجديد (الرأي العام)

يوظّف الكاتب مفرداته الثقافية بحثا عن معالم الإله الجديد :

حجة السلطة : L' argument d' autorite

إنها تمثل (الرأي العام) وهو مصطلح مطاط ، فقد يكون سياسياً ، أو دينياً ، أو قضائياً ، أو ثقافياً ، أو غيرها .

يقول : " لا، لن أذكر هنا شيئاً عن تلك الآلهة الزائفة ، لأن أمرها فى حياة الإنسان الضعيف معروف ، لكنني سأذكر إلهاً جديداً ظهر حديثاً فى حياة الناس ، وهو ذو وجهين ؛ فهو بوجه منهما لا عيب فيه ، بل إنه ضرورة مطلوبة ، وذلك إذا نزعت عنه شوكة التألّه ، ولكنه بوجهه الآخر ، الذي يتسلّح فيه بتلك الشوكة الرهيبة ، ينقلب إلى طاغية يسحق فردية الأفراد سحقاً ، ليحيلهم إلى أشباح من ظلال ، وأعني بذلك الإله الزائف الجديد شيئا اسمه (الرأي العام) ولهذا الرأي العام نحني رؤوسنا طاعة و إجلالا ، على شرط واحد : هو ألاّ يكون فى معنى من معانيه ، حرماناً لأي فرد أراد أن يختلف بفكره المستقل عما أعلنه الرأي العام ، حتى ولو جاء ذلك الإعلان نتيجة سليمة لاستفتاء صحيح مشروع .

إن وجود فرد واحد ، لا يرى الرأي الذي هو (رأي عام) ينفي عن الرأي العام عموميته ، وحتى لو كان من حق الرأي العام أن يضغط بقوته العددية فى اتخاذ القرارات ، وفى انتخاب النوّاب الذين ينوبون عنه فليس له ذلك الحق نفسه فى منع الآراء والأفكار التي لا تعجب جمهوره .

إن الذي يربط أفراد الجمهور بعضهم ببعض فى تكوين رأي عام ، يغلب أن يكون هو : الانفعال لا العقل . فالانفعال ينتقل من فرد إلى فرد بالعدوى ، وأما الفكرة العقلية فينقلها صاحبها إلى متلقيها بالإقناع ، والإقناع بحكم طبيعته عملية فردية وليست عملية جماعية . وحتى إذا استطاع صاحب فكرة عقلية أن يقنع بها جمهوراً من الناس ، فذلك إنما يتحقق حين يقتنع كل فرد على حدة ، بينه وبين نفسه ، بصدق الفكرة التي تلقاها ، أما (الجمهور) من حيث هو كذلك ، فليس العقل هو الوسيلة إليه"

يبدأ المؤلف حديثه بمراوغة القارئ : فينفي التعرّض للآلهة الأخرى ، ويقصر معالجته للمعبود الجديد ، مراوحا بين (لا لن أذكر) و(لكنني سأذكر) وهو :

توجيه حجاجي بالتضاد :

فهو يلغي المنطوق السابق ، ويدعم المنطوق اللاحق ، حينئذ يسكت عن المعبودات السالفة ، ويرسم معالم الإله الرئيس ، والذى يترجم هذا التوجه : الرابط المنطقي (لكن) حيث تتمثل القوة الحجاجية فيما بعد (لكن)

المعاني أو المواضع les lieux: وهى من الشروط الأساسية لإقامة الحجاج ، وتشمل أية عملية حجاجية ، لما تحققه من اقتناع ، وما تعضده من اتفاق بين طرفي القضية المدروسة " وفى تحديد ديكرو لمفهوم المواضع يمكن استنتاج :

أ- إن العلاقة الحجاجية تتطلب وجود موضع بين الحجة والنتيجة .

ب- إن للمواضع أشكالا تتحدد ب (أكثر) و (أقل)

ج- إن أشكال المواضع من خلال التأليف بين أكثر ورمزه (+) وأقل ورمزه (-) أربعة هى : (+،+) ، (- ، -) ، (+، -) ، (- ،+) "(١٩)

اختار الكاتب بعضاً منها كالآتي :

١- للرأي العام وجه ضروري مطلوب ، ووجه طاغية (+ ، -)

٢- نحني له رؤوسنا طاعة وإجلالاً ، بشرط ألا يكون من معانيه حرمان الفرد المختلف المستقل بفكره . (+ ، -)

٣- له الحق فى الضغط بقوته العددية فى اتخاذ القرار ، وانتخاب نوّابه ، وليس له الحق فى منع الآراء والأفكار المخالفة له . (+ ، -)
٤- وسيلة الرأي العام / الجمهور : (الانفعال) = (العاطفة) وهى عملية جماعية تنتقل بالعدوى .
أما وسيلة الفكرة العقلية : الإقناع = العقل وهى عملية فردية تنتقل بالعقل (+،+)
٥- يتصف الرأي العام بصفة (العمومية) ، فإذا ظهر رأي واحد مخالف له ؛ فقد عموميته . (+ ، -)
نلاحظ أن فكرة (الأكثر) هي الغالبة على (الأقل) حيث يزيد الإيجاب على السلب وهى تشي بما يبتغيه الكاتب من النهوض بالفكرة العقلية الصائبة ، وإلغاء سلطة المجتمع ، كما أن بسط العناصر المختلفة / المتناقضة ، تجعل الرؤية أكثر إيضاحاً ، وأيسر فهماً ، وأجلى تأثيراً .

معاودة الحجة :

دائما يُذكّرنا الكاتب بحجته الأولى التى شيّد صرحه عليها ؛ وهي (الشهادة)
شافعاً إياها بذات الصفات التي تسربل ذلك المسلم وهي : بوصفه فرداً مفرداً فريداً ، واستعماله للمادة المعجمية : (ف رد) تعدّ منطوقاً مهماً فى معجم المؤلف لأنها تترجم فكرته التى يريد أن ينفثها فى المجتمع يقول :" إذ قصدتُ إلى حرية الإنسان ، من حيث هو فرد مستقل يصنع لنفسه قرار حياته ؛ ليكون مسؤولاً بعد ذلك عن قراره ذاك أمام الله وأمام الناس وأمام نفسه ، فتلك الحرية الفردية هي الأساس لكي تتحقق كل حرية أخرى "(٢٠)
عبّرت المقالة عن مفهوم (الفردية) إنها جدلية معقدة ، تقوم على الشدّ والجذب بين (الفرد المتميّز / الجمهور) من أجل ذلك ارتفعت نسبة تواتر لفظة (الفرد)
ومشتقاتها فى الصيغة (الاسمية) ثماني وثلاثين مرة ؛ لأنه يهتم بتدعيم هذه الخصلة ، ثم فى الصيغة (الفعلية) ثلاث مرات .
الشاهد : من الحجج الجاهزة، وآثر الباث الاقتباس من القرآن لأنه "سلطة تحظى بنفوذ ومصداقية ...القرآن : أعلى وأكبر وسائل الاستشهاد فى الثقافة الإسلامية ، فهو (الحجة العليا) . فالفعل الحججي الذى يتم به أكثر إقناعاً ... وهو سلطة غير شخصية لأنه العقيدة لعموم المسلمين فيشكّل محط إجماع عام "(٢١)
يقول : " ألم تر إلى الآية الكريمة التى فصلت الوسائل الثلاث فى الدعوة إلى سبيل الله ؟ إنها ذكرت : (الموعظة الحسنة) و (الحكمة) و (المجادلة بالتي هي أحسن) إنها وسائل مختلفة ، ويظهر اختلافها عند تدبّرها وتحليلها .واختلافها هذا يقابل تفاوت الناس في الطريقة التي تناسب الدرجة الثقافية التى لكل منهم فعامة الناس لا يتحمّلون (البرهان العقلي) ويكفيهم أن تضرب لهم الأمثلة الموضحة للفكرة التي تعرضها عليهم ، ويحسن أن تساق إليهم تلك الأمثلة فى أدب خطابي يثير انفعالهم ، ليحرّك قلوبهم وتلك هى الموعظة .
وأما (الحكمة) فشأنها شأن آخر؛ لأنها طريقة لا تبني النتيجة على (فروض) يفرضها عارض الفكرة الجديدة ، إنما هى تبدأ مع المتلقي من (الصفر) وكأنهما يبدآن المعرفة من أول وجديد ، وهنا يسير عارض الفكرة مع المتلقي خطوة خطوة ، ولا ينتقل من خطوة إلى التي تليها إلا إذا أقام على الفكرة الأولى برهان صدقها ، كما ترانا نفعل فى علم الحساب أو علم الهندسة . وواضح أن منهاج (الحكمة) هذا لا يناسب إلا الصفوة التى ظفرت بتدريب عقلي أكسبها القدرة على إقامة

البراهين . وأخيراً تأتي طريقة (المجادلة بالتي هي أحسن) فلئن كانت الموعظة الحسنة أصلح الوسائل إلى (قلوب) الجمهور العريض ، ثم كانت (الحكمة) أنسب الوسائل إلى (عقول) الصفوة ، فهنالك وسط بين طرفين ، فلا هو من الصفوة الممتازة بقدرتها العقلية العلمية ، ولا هو من عامة الناس الذين لا يطيقون الاستماع إلى البراهين العقلية فى بطء سيرها ، وفى دقة لفظها ، إنما هو وسط بين بين فهؤلاء يناسبهم لا أن تبدأ معهم من الصفر ؛ بل أن تبدأ معهم بنص معين ، أو بفكرة معينة ، تعلم أنهم على استعداد لقبولها بلا نقاش ، ثم تستخرج لهم من تلك المقدمة المسلّمة نتائجها التى تلزم عنها لزوماً منطقياً ، فلا مفر عندئذ من قبولها ، فالآية الكريمة حين جعلت لكل درجة من درجات القدرة العقلية

وسيلتها إلى قبول الفكرة الجديدة ، تضمن فيها أن ما يدركه فرد من الناس ، قد لا يستطيع إدراكه فرد آخر أو أفراد آخرون . والذى يهمنا فى سياق حديثنا هذا : هو أن نخلص إلى حق الفرد الواحد فى أن ينفرد وحده بفكرة معينة ، حتى ولو كانت تلك الفكرة مستعصية على الآخرين ، وحسبه فى ذلك أنه فرد ضمنت له (الألف) التى هى أول حرف فى (أشهد أن لا إله إلا الله) أن تُصان فرديته حتى ولو خالفه سائر أفراد البشر جميعاً " انساب الشاهد القرآني لاحقاً للقاعدة التى استنبطها ؛ الكاتب لتوضيحها وتعزيزها بالتصديق ؛ لاستمالة القارئ والتأثير فيه ، ويعدّ التناص أحد التقنيات الحجاجية

القاعدة : الرابط الذى يربط أفراد الجمهور : الانفعال .

أما الفكرة العقلية الفردية فوسيلتها : العقل .

لقد بحث المؤلف عن اقتباس يتفق وهذه القاعدة ، فعثر على قوله تعالى :

(ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)النحل ١٢٥، لكنه اجتهد فى تحليلها ؛ فجانبه الصواب ، وهذا الشاهد نطلق عليه :

الدعم : وهو من وسائل الدعوة إلى سبيل الله ، بعدة طرق :

١- الموعظة : وهى أصلح الوسائل إلى (قلوب) عامة الناس .

٢- الحكمة : إنها أنسب الوسائل إلى عقول الصفوة .

٣- المجادلة : منزلة وسطى بين الوسيلتين السابقتين .

أخالفه فى تحليله لمضمون الحكمة ، لماذا نبدأ معهم من الصفر ، وهم أصحاب قدرات عقلية مميزة ؟ ولماذا يحجبها عن عناصر القياس ؟

كما أعترض على أن تكون المجادلة منزلة بين بين .

ويمكنني أن أستعرض هذه الوسائل ضمن :

السلّم الحجاجي : les echelles argumentatives

عرّفه ديكرو بأنه : " مجموعة الأقوال التى تنتمي إلى سلّم حجاجي واحد ، وقائمة على ترتيب ما ، يعتبر المتكلم بمقتضاه أن قولاً أقوى من قول آخر وهما موجودان فى قسم حجاجي واحد " (٢٢)

فهو درجات يرتقي عليها المحاج من قوي إلى أقوى ؛ حتى يصعد إلى أعلى مقاييس الإقناع . لقد فتح الله باب المحاورة ؛ ليعطي الفرصة للمناقشة الهادئة لذلك أصبغ عليها ميزة (الأحسن) وهى صيغة مبالغة من (حسن) ، هذه الملفوظات المتراكمة من : وحدة واحدة (الحكمة) ثم وحدتين

(الموعظة الحسنة) وأخيرا أربع وحدات لفظية (جادلهم بالتي هي أحسن) تقطع طرق الريب ، وتُنشّط قوة التأثير والإقناع .إنها تدلّ " على الحث على الإنصاف فى المناظرة واتباع الحق ، والرفق والمداراة على وجه يظهر منه أن القصد : إثبات الحق ، وإزهاق الباطل ، لا نصرة الرأي وهزيمة الرأي الآخر " (٢٣) **تركيب عامي :**

إنه يستعمل بعض التراكيب بلغة عامية ، وبخاصة عند اقترابه من العامة ، فيقول تبدأ مع المتلقي من الصفر . يبدآن المعرفة من أول وجديد .

هدفه : أن يصبغ حواره بالمصداقية ، وكأنك تسمع ذلك الجدل ، فيزداد اقتناعك .

كما أن المقالة نشأت لتخاطب العامة ، فناسب أن يتحدث بلغتهم .

النتيجة :

حق الفرد الواحد فى أن يتفرّد بفكرته .

الدليل : أنه (فرد) ضمنت له (الهمزة) فى شهادته ، أن تُصان فرديته .

ذلك القفل الذى يختم به حجته ، ما يفتئ أن يكرره ؛ ليلقمه المجتمع ؛ فيتغيّر سلوكه ، ويؤمن بتلك الفردية .

العتبة الحجاجية الثالثة : بين الرأي الفردي والرأي العام .

يقول : " على أن هذا الحق الذى يُبيح للفرد أن ينفرد بفكره وبعقيدته لا يمتد به إلى دنيا العمل تطبيقاً لذلك الفكر أو لتلك العقيدة ، لأن دنيا العمل هى على الأغلب دنيا الناس، اللهم إذا حصر صاحبنا نفسه فى عالم مغلق لا شأن لأحد به ، أما مادامت دنيا العمل شاملة لأفراد آخرين ، فهاهنا يصبح لكل منهم نفس الحق الذى هو لصاحب الفكرة أو العقيدة ، الذى انفرد وحده بما رأى وما اعتقد .

فدنيا الناس المشتركة ، والتى هى مجال الحياة العملية ، من حقها أن تسير وفق متوسط الرأي عند معظم الجمهور – وذلك هو الرأي العام – دون أن يكون فى ذلك حرمان للفرد المختلف برأيه من الدعوة إلى فكرته بالوسائل المشروعة ، لعل يوما يجئ تحلّ فيه الفكرة الجديدة محل الفكرة القديمة ، وتصبح بدورها هى (الرأي العام) إننى ماذكرتُ مرة هذه المفارقة العجيبة بين الرأي الفردي والرأي العام ، إلا وذكرتُ معها موقفاً رائعاً لسقراط ، وهو فى سجنه على وشك أن يُنفّذ فيه الحكم بالموت ، وهو حكم قضت به محاكم أثينا ، استجابة للرأي العام الذي وجد فى سقراط خطراً على تقاليدها الفكرية ، وكانت المحكمة التى أصدرت عليه حكمها بالموت ، قد طلبت منه أن يعارض هذا الحكم باقتراح من عنده ، لتحدث الموازنة بين الحكمين ، ثم يكون الرأي الأخير النافذ ، فأجابها سقراط بسخريته المعروفة : إن اقتراحي هو أن تُنفق على أثينا ؛ لأننى أعلّمها ما فيه خير لها ، أقول : إنه حين دنا موعد تنفيذ الحكم بالموت مسموماً ، أنبأه بعض الأثرياء من أتباعه بأنهم قد مهّدوا الطريق لفراره من السجن ، حتى يخرج من أثينا سالما ، فعجب لأمرهم ولم يتردد فى رفض ما عرضوه قائلاً لهم : إنه إذ يحاول جهده أن تُغير أثينا من قوانينها وتقاليدها ما من شأنه أن يعرقل سيرها نحو ما هو أفضل ، إلاأنه يظل ملتزماً بالعمل فى ظل تلك القوانين ، إلى أن تتغير عن اقتناع من أبنائها . ذلك هو المثل الأعلى فى العلاقة بين الرأي الفردي والرأي العام . فللفرد حريته الكاملة فى عرض الفكرة التى يراها صالحة ومصلحة لحياة الناس ولجمهور الناس حق القبول والرفض ، دون أن يتعرّض صاحب الفكرة للأذى "

حجة الاستدلال : La demonstration

وهي من الحجج العقلية ، التى يقدمها المؤلف ليبرهن على صحة موقفه من خلال إعمال العقل " تتكوّن الحجة فى أبسط وصف لمكوناتها : من مقدمتين ونتيجة ، يمكن أن تكون أكثر أو أقل ، تمثّل المقدمتان أو (المقدمات) المبادئ الأساسية التى تمدنا بقوة العبور إلى النتيجة"(٢٤)

المقدمة الكبرى : يدعو الفرد المختلف برأيه إلى فكرته .

المقدمة الصغرى : لايحرم الرأي العام الفرد من عرض فكرته .

النتيجة : يتفرّد الفرد بفكره وعقيدته .

مفاجأة المواضع :

من الشروط الأساسية لإقامة الحجاج : وجود المواضع ، كما يقول (بيرلمان) ولقد كسر الكاتب المسار المألوف الذى اعتدناه ، وهو رفض سطوة الرأي العام ، والآن كيف يتحوّل الرأى الفردي إلى رأي عام ؟ ولم لا وهو غاية أمله : أن يُستساغ الرأى الجديد ويُكتب له الفوز ، حين يقول المبخوت : العلاقة بين الحجة والنتيجة غير ملزمة بصفة مطلقة ، إذ يمكن استخلاص النتيجة وضدها ، شريطة المرور بالمواضع التى تمثل مصفاة لاتباع ذلك المسارأو ذلك ، وهذا ما يفسر كون الحجاج مفتوحا على احتمالات شتى بما أنه لا يقدم حقائق مطلقة .

ولاننسى أن للرأي العام وجه لاعيب فيه ، بل هو ضروري مطلوب ، وهذه نتيجة مختلفة ، إنها أعلى درجات السلم الحجاجي .

ويكون الموضع هنا رمزاً متشابهاً كالتالي :

للفرد الحق فى أن يتفرّد بفكره .

من حق الجمهور أن يسير وفق متوسط الرأي العام . (+ ، +)

فالمواضع les lieux عبارة عن(مخازن للحجج) .

(الحقائق) les faits (الشاهد التاريخي)

حجة المثل دليل قوي فى التأثير على المتلقي ، وبخاصة إذا كان تاريخياً ، حيث يحمل صفة المصداقية ؛ لأنه محفور فى الذاكرة ، وتلك هى قصة سقراط .

التكرار : هو القفل الذى يختم به رأيه ، فى إصرار ، وصبر وهو النتيجة التى يهدف إليها : للفرد حريته فى عرض فكرته الصالحة للناس ، ولجمهور الناس حق فى القبول أو الرفض ، ويتبعه التحذير من مغبة الأذى الذى قد يلحق به ، لذلك استحضر واقعة سقراط ، الذى يمثل مقتله صورة حية لإيذاء الرأي العام .

ثم ينتقل إلى دعم النتيجة بالحجج التالية ، فيقول : " إن للرأي العام حرمته وقيمته لكن ليس له شيء من التقديس الذى يتوهمه له من يتوهم ، فليس الرأي العام تنزيلاً من التنزيل ، بل هو رأي يُنقد ، ويتغيّر إذا ألزمته الظروف المستحدثة أن يتغيّر .

أما قيمته التى أشرنا إليها : فهى أنه صمام للأمان من العثرات القاتلة . فليس كل جديد تأتى به الحضارة الجديدة فى أى عصر تنشأ فيه حضارة غير الحضارة التى يكون لها السيادة عندئذ ، أقول : إنه ليس كل جديد مقطوعاً له بالصواب منذ أول ظهوره ، بل الأمر مرهون بالتجربة خلال الممارسة العملية ، فإما ثبت ذلك الجديد ، وإما أهمل وتُرك ليزول وهنا يكون للرأي العام

قيمته الحضارية ؛ لأنه رأي بطبيعته أميل للتمسك بما هو قائم ، فهو – عادة – يبادر برفض القادم الجديد

حتى إذا ماأخذ ذلك القادم الجديد يتسلل فى حياة الناس قطرة قطرة ، ويقابل بالرضا شيئاً فشيئاً ، أرخى الرأي العام قبضته الحديدية على القديم . تلك هى القيمة الكبرى للرأي العام وجموده النافع ، إلا أنه لابد فى الوقت نفسه للجديد أن يتسلل ولو خلسة ، لكى يوضع تحت الامتحان . فمن الذى يفتح له الثقوب التى يتسلل منها خلال الجدران المصمتة ؟ إنهم أفراد أخلصوا للفكر إخلاصهم لشعبهم الذى هم من أبنائه . ولعلنا نلحظ خلال القرن الأخير كله ، ظواهر تدل على قيام الحالة التى وصفتها لتوي : وهو أن جديداً يتسلل إلينا ، رذاذاً أحياناً ، وغيثاً منهمراً أحياناً أخرى ، وهذا وذاك يقابله الرأي العام بالرفض الشفوي من ناحية ، وبأخذه واستخدامه فى الحياة العملية من ناحية أخرى ، ولست أشك لحظة فى أن النصر آخر الأمر هو للجديد النافع ، وستذهب صيحات الرفض أدراج الرياح "

أساليب الإقناع اللغوية :

من أبرز الوسائل التى استعملها الكاتب : الروابط المنطقية ، تراكيب نعتية ، حجة التمثيل بالاستعارة ، بلاغة السؤال .

تتماهى ملامح الرأي العام فى صورة مركبة ؛ حتى يتم توجيهها عن طريق :

١- الروابط الحجاجية : commecteurs argumenatifs

(بل / لكن) إنها تحقق الاتساق cohsion إن هذين الرابطين يحققان الانسجام النحوي بين أجزاء النص ، كما يوجهان الجملة نحو نتيجة محددة ، كالآتي :

الحجة (١) الرأي العام ليس تنزيلاً ، بل رأي يُنقد ويتغيّر .

ليس كل جديد مقطوعاً له بالصواب ؛ بل الأمر مرهون بالتجربة .

الإضراب ب (بل) يوجّه دلالة القول إلى إيجاب نتيجة مضمون الجملة بعده .

قطب الجملة الأولى منفي بالأداة (ليس) وقطبها الثاني موجب بالأداة (بل) وهى تدعم مابعدها .

الحجة (٢) للرأي العام حرمته وقيمته ، لكن ليس له شيء من التقديس .

الأداة (لكن) عكس (بل) حيث توجّه دلالة القول إلى سلب نتيجة مضمون الجملة المستدركة ، وهى أيضا تقوّي ما بعدها .

٢- اختيار النعوت: la choix des qualifictions

تتضح أهميتها فى أنها ذات توجّه حجاجي ، وهى إما بالإيجاب ، أو السلب

أولاً الإيجاب : الرأي العام / الظروف المستحدثة / الحضارة الجديدة / الممارسة العملية / قيمته الحضارية / القادم الجديد / القيمة الكبرى / جموده النافع / غيثاً منهمراً / الحياة العملية / الجديد النافع .

فهو لم يُحرم الرأي العام من بعض الميزات : فله قيمة كبرى حضارية ، وينخرط أفراده ضمن الحياة العملية ؛ حتى لو اصطبغ بالجمود ، فإن جموده نافع .

أما الرأي الفردي : فهو القادم الجديد التى تأتي به الحضارة الجديدة ، وصوابه مرهون بالممارسة العملية ، وقد يكون غيثاً منهمراً ، على أية حال إنه جديد نافع

يتضح لنا حيادية المؤلف فى عرض الرأي والرأي الآخر .
ثانيا الجانب السلبي : العثرات القاتلة / قبضته الحديدية / الجدران المصمتة / الرفض الشفوي .
تتمثل سطوة الرأي العام فى قبضته الحديدية ، وتتشكّل سماته فى رفضه الشفوي
والعثرات التى قد تواجه المجتمع تكون قاتلة ، والحائل الذى يحول دون تقدّم الرأي الفردي يكون مصمتا .

٣- حجة التمثيل بالاستعارة :

وهى إحدى تقنيات الحجاج ، التى تخدم حجة الانفعال والعاطفة ؛ لأن المقالة عملية إبداعية فى الأصل ، لمسنا فيها الأساليب البيانية ، وغايتها اجتذاب عاطفة القارئ ، لإمتاعه بفن الإنشاء ، ولذا استعملها الكاتب بحذر لأن هدفه : خدمة النص ، وليس الإيغال فى التحلية فى حد ذاتها . كالتالي :

١- الرأي العام صمام أمان من العثرات القاتلة .
٢- يتسلل القادم الجديد قطرة قطرة / يتسلل ولو خلسة / يتسلل رذاذاً أو غيثاً .
٣- أرخى الرأي العام قبضته الحديدية على القديم .
٤- من يفتح له الثقوب التى يتسلل منها خلال الجدران المصمتة ؟
٥- ستذهب صيحات الرفض أدراج الرياح .

من محاسن الرأي العام أنه يحافظ على النظام القديم من أى عقبات تعترضه ؛ حتى لاتنفك عُرى المجتمع .
المنهج الذى يتبعه الرأي الفردي لكى يصل إلى مبتغاه : التسلل ، وهى لفظة تحمل الحركة البطيئة الحذرة الخائفة ؛ لذلك تكررت أربع مرات ، ولازمتها مايدعمها من ألفاظ : (قطرة قطرة) (شيئاً فشيئاً) (الثقوب) (رذاذاً) وكلها تشي بالاضطراب والضعف .
لاحِظ التطابق بين (الثقوب) و(الجدران المصمتة) حيث تكون النتيجة هى استحالة الولوج ، وبين (أرخى) و(قبضته الحديدية) لما فيها من لين بعد قوة .
وأخيراً لتستمع إلى (صيحات) تزلزل أركان الرأي الجديد ، سيكون مصيرها إلى زوال ، وهى القفل الذى يغلق به تلك العتبة الحجاجية ،إنها نتيجة جديدة .
لعمل المحاجة جانبين : أحدهما هو تقديم الحجة ، والآخر هو استخلاص النتيجة فعن طريق الحركة والصوت ، ينتصر الفرد لقضيته بفعل التحدي والتمرد .

٤- بلاغة السؤال :

فائدة السؤال : حلّ للغز واستحضار للقارئ ، ويُعدّ السؤال أصل الفلسفة ، وعنه نشأت لهذا ألّف الفيلسوف (ميشيل ماير)Michel Meyer نظرية المساءلة la problematologie، ورأى " أن السؤال والمشكل يتماهيان وإذا رغبتم فى تعريف بسيكولوجي قلنا : إن كل سؤال هو حاجز أو صعوبة أو ضرورة اختيار فهو بالتالي نداء إلى اتخاذ قرار " (٢٥) وكان المؤلف هو السائل ، وكذلك المجيب ؛ حتى لا يشق على المتلقي ، ويتركه فى حيرة . وحمل السؤال مظهره الحقيقي :(س) من يفتح الثقوب ليتسلل منها ؟
(ج) إنهم أفراد مخلصون . وتختفي صعوبة المساءلة خلف التعبيرات التى صيغ بها ، فلم يقل : من يفتح الأبواب ليدخل القادم عبرها ؟

أولاً :الحركة الحجاجية الإفرادية

*تدل صيغة (أشهد) على أنه لمتكلم فرد مفرد فريد مسؤول عمّا يقول ، ما تدل على أنّ الإيمان بالدين من شأن كل مؤمن على حدة .

*حرف الهمزة فى (أشهد) يتضمّن مواثيق تضمن للإنسان أن تصان فرديته ومسؤوليته .

*تنسحب هذه الصيغة على الجميع : رجل أو امرأة ، حاكم أو محكوم غني أو فقير حر أم مقيد .

*الفكرة العقلية ينقلها صاحبها للمتلقي بالإقناع ؛ لأنه عملية فردية ,كما يتم إقناع الجمهور فرداً فرداً على حدة .

النتيجة :

*مايهمنا :حق الفرد الواحد فى أن ينفرد وحده بفكرة معينة ولو استعصت على الأخرين ، بشرط تكون صالحة لحياة الناس دون أن يتعرّض لأذى .

الصفات الملحقة بصاحب الرأي الفردي :

-1 فريد : وردت مرتين ,على وزن (فعيل) هى صيغة مبالغة إيغالاً فى فردية الفرد .

-2 الجديد : ذكرت فى ستة مواضع لتؤكّد أنّ الرأي الفردي دائماً جديد غير مطروق ثمّ عدّد المصطلحات الخاصة بهذا الجديد :

أ - الفكرة الجديدة وردت ثلاث مرات .

ب - القادم الجديد : أوردها مرتين .

-3 مسؤول : تواترت أربع مرات حيث تتجلّى مسؤولية الفرد أمام ضميره وأمام ربّه .

-4 النافع : تعبر عن الغرض من الرأي فيقول : النصر للجديد النافع .

-5 ذو رؤية حضارية .

-6 السابح : إنه يسبح بثقافته ؛ لكنه يسبح ضدّ التيار لمخالفته رأي الجمهور .

-7 فكرته صالحة :الهدف من الفكرة الفردية : أن تكون صالحة ومصلحة للأخرين .

-8 الفكر الحرّ : تستدعي عدم تقييده من أي جهة .

-9 المستقل : حيث يستقل الفكر عن غيره من الآراء .

-10 متميز : فالمضمونات الفردية متمايزة .

هكذا تتعدد الصفات المنتسبة للفرد صاحب الفكرة الصائبة التي ترقى بمجتمعه وكلها تحمل دلالات حسنة تعمّق نظرتنا للرأي الفردي ، وتجذبنا للانضمام إليه .

ثانيا الحركة الحجاجية الجمعية :

* إنه إله جديد يُسمى (الرأي العام) وله وجهان : ١)وجه ضروريّ حين تنزع شوكته ٢) وجه طاغية ؛ فيسحق فردية الأفراد ؛ ليحيلهم لأشباح .
* نحني رؤوسنا له بشرط ألّا يحرم الفرد من الاستقلال بفكره .
* تنفى عموميته برأي واحد يخالفه .
* يربط الانفعال أفراد جمهوره فينتقل بالعدوى من فرد لآخر .
* لجمهور الناس حق القبول و الرفض لفكرة الفرد دون أن يعرّضوه للأذى .
* إنه ليس مقدّساً ؛ لأنه ليس تنزيلاً إنه رأي ينقد ويتغير .

* إنه يقابل الجديد بالرفض .
* يكمم الأفواة عن الرأي الحرّ .
*إذا أصدرت الدولة قوانين لاتفك جموده بل يفعل ذلك بعلم و إعلام .
*إنه لايتقدّم قيد أنملة حيث يغرق فى التهاويم التي قد تصل إلى الخرافة العمياء .
*يحتكر جماعة وجدت رزقها فى الدعوة إلى بعث الماضي وخلطوها بسلامة الإيمان والشعور الوطني .
* كثر تواتر لفظة (الرأي العام) فوردت اثنتين وعشرين مرة ، وكذلك جاءت مترادفات لها ، نحو : (الجمهور) ذكرت تسع مرات ، و(الناس) مرتين ، مايدل على أهميتها فى مدوّنة هذه المقالة ، وبخاصة أنها تعبر عن (الشرك) الذى يستنكره ، لذلك أطلق على مقالته هذا العنوان .

الصفات الملحقة بالرأي العام :

-1 هو إله جديد إله زائف .
-2 له قوة عددية يضغط بها فى اتخاذ القرارات وانتخاب نوابه .
-3 إنه صمّام أمان من العثرات القاتلة .
-4 له قيمة حضارية ,حيث يتمسّك بالقائم ويرفض الجديد .
-5 يملك قبضة حديدية .
-6 جموده نافع .
-7 له حرمته وقيمته .
-8 يملك غضبا وسخطا على من يخالفه .

نرى أنّ خصال الرأي العام تتدثر بالمساوئ فهو إله زائف وطاغية يسلبهم حريتهم وله قبضة حديدية لايفلت منها من يعارضه ويحرقهم بحمم غضبه وسخطه ويؤذي من يناقضه

العتبة الحجاجية الرابعة : سطوة الرأي العام تعوق التقدّم الثقافي .

بعد أن تناول أوجه الخلاف بين الرأي الفردي والرأي العام ، انطلق ليدعم رأيه بالتجربة العملية من واقع الحياة ، فيقول : " حدث لي فى إحدى اللجان الرسمية التى كنت عضوا من أعضائها ، أن كان الموضوع المطروح هو مطالبة الدولة بأن تكفل حرية الفرد فى التعبير عن فكره ، فأبديت رأياً أعلق به على الحوار الدائر ، فقلتُ : إنها ليست الدولة التى تكمم الأفواه عن الفكر الحر ، بقدر ماهو (الرأي العام) . وهذا الرأي العام لا يفك عنه الجمود قوانين تصدرها الدولة ، بل يفعل ذلك بعلم وإعلام . ولعلني قلتها فى مناسبة سابقة مما كتبته ، وأعني تلك الظاهرة العجيبة فى حياتنا الثقافية ، وهى أن التعليم قد ازداد اتساعاً ، والأفراد الأفذاذ قد ازدادوا عدداً فى كل ميدان من ميادين حياتنا ، مما يشهد بنجاح نسبي لحركة التعليم فى بلادنا .لكن الأمر الذى يدعو إلى العجب حقا ، هو أن (الرأي العام) لم يكد يتقدم قِيد أنملة فى أواخر القرن عنه فى أوائله . ولذلك فقد يحدث أن ترى العالِم من علمائنا قديرا فى علمه وهو فى ميدانه ، لكنه ما إن يفرغ من واجبه إزاء تخصصه العلمي ؛ حتى يُسرع الخطى لينخرط مع الرأي العام فيما هو غارق فيه من تهاويم قد تبلغ أحيانا كثيرة حد الخرافة العمياء " **الوقائع** les faits :وهى من مقدمات الحجاج ، كما حددها (بيرلمان) يحكي الكاتب قصة تعرّض لها شخصياً ، وبهذا يدمج المؤلف ذاته مع تلك الشخصيات المحاجة ، وهو يعدّ رافداً حجاجياً مهماً ، يضفي المصداقية لما يقول ، ويرفع

نسبة إقناع المتلقي ، عندما طلب من الدولة أن تهب الحرية للفرد فى التعبير عن رأيه ، قال : إن الرأي العام هو المسؤول عن تكميم الأفواه ، وهى صورة بلاغية ترسم كيفية إسكات صوت الحق ، بشكل مجازٍ كأنهم يضعون الكمامات على الأفواة ؛ حتى تكف عن المطالبة بحقها ، وهو نوع من الإيذاء .

حجة التناقض وعدم الاتفاق : Contradiction

إنها ضمن الحجج شبه المنطقية " فالحجاج يرفض الصرامة فى ضبط الحدود والفروق ، ويجد فى المنطقة الوسطى المتشحة بالغموض تربة خصبة "(٢٦)

وتتموضع فى جانبين حيث يكتنفهما التناقض :

١) زيادة اتساع التعليم ، ما يشهد بنجاحه / لم يتقدّم الرأي العام .

٢) قدرة العالِم فى تخصصه / يُسرع بالانخراط مع الرأي العام فى تخاريفه .

ويجيب عن ذلك فى موضع آخر فيقول : " علة ذلك أننا نقلنا عن الغرب كثيراً من ظواهر ثقافته وحضارته ، لكننا لم نغيّر من وجهات النظر الداخلية بما يتناسب مع تلك الظواهر " (٢٧) ويردّ محللاً ذلك ، وهى إجابة لسؤال مضمر ، استحضره من عقول قرائه ، فيقول :" وسرّ ذلك هو أن الفكرة إذا جاء بها إلى الناس فرد يحمل رؤية حضارية معاصرة ، لم يستطع أن ينفذ بها إلى عامة الجمهور ، وبين تلك العامة أعداد ضخمة ممن تلقوا تعليمهم فى المدارس والجامعات ، كاملاً أو منقوصاً ، إذ كانت عامة الجمهور فى شبه احتكار لجماعة وجدت مكانتها وأرزاقها وشهرتها ومناصبها فى الدعوة إلى بعث الماضي لتعيش فيه ، لا لمجرد استلهامه وتشرّب قيمه المبثوثة فى نصوصه ولكي يزيدوا موقفهم رجحاناً وقوة ، مزجوا ذلك بسلامة الإيمان الديني ، وبحرارة الشعور الوطني فى آن واحد . نعم إنه لا مراء فى أن إحياء الروح الديني وقيم الأسلاف ضرورة لاغنى عنها فى ترسيخ الشعور القومي ، وتثبيت الهوية الخاصة بنا ، لكن أبناء النصف الأول من هذا القرن عرفوا كيف يضيفون إلى ذلك الأساس الضروري ، أقباساً قبسوها من ثقافة العصر فكاد الميزان الثقافي الجديد تعتدل له كفتاه ، لكن جاءت هذه الموضة التى تغمرنا اليوم ، والتى أزعم أنها قد استمدت قوتها من هزيمة ١٩٦٧ التى زعزعت فينا الثقة بالنفس ، أقول : إن هذه الموجة الجديدة جاءت لتحذف من المركب الثقافي ذلك الجانب العصري ، ولتشكك الناس فى طواياه ونواياه ؛ حتى لقد أصبح الفرد السابح بثقافته مع توازن النهضة فى العشرينيات والثلاثينيات إنما يسبح ضد التيار ، ويُعرّض نفسه لغضب الرأي العام وسخطه ، فتراه فى معظم الحالات يلوذ بالصمت ، وإيثار السلامة ، متجاهلاً – أمام غضب الجمهور العام – أنه فرد مسؤول أمام ضميره وأمام ربه بحكم قوله : (أشهد أن لا إله إلا الله" .

الإجابة عن سؤاله تمحورت فى ترسيم التناقض بين وجهتي النظر، كالآتي :

نوع الحجة : (حجة المقارنة)

من خصائص الرأي العام : شبه احتكار لجماعة تدعو إلى بعث الماضي والعيش فيه وليدعموا موقفهم تشبثوا بالإيمان و الوطنية .

من خصائص الرأي الفردي : مزج الإيمان وإثبات الهوية : بحضارة عصرية لكن ماترتب على الهزيمة ، من زعزعة الثقة شكك فى تلك الثقافة العصرية ؛ حتى تخلى الفرد عن فرديته ، ولاذ بالصمت خشية غضب الرأي العام .

دعامة معكوسة :أغلق العتبة الحجاجية بدعامة معكوسة ، حيث أظهرت الموقف السلبي للرأي الفردي ، من خلال ثقافة الترهيب ولقد تغيّر اتجاه الحجة من القوة إلى الضعف ؛ نتيجة ليأس المحاج أمام تغوّل الرأي العام ، فقال : لاذ بالصمت ، وخشى الإيذاء ، فآثر السلامة ، متجاهلاً تفرده ، بحكم شهادته .

العتبة الحجاجية الخامسة : بين الإرادة والعقل :

يقول : " المسلم مسلم لكونه أسلم إرادته لمشيئة الله ، وإننا لنخطئ خطأ خطيراً ، إذا أخذنا الظن بأن معنى ذلك هو أن يتجرّد الإنسان من إرادته ، لأنه لو فعل ، لأصبحت عبادته لله ذاتها معدومة القيمة ، إذ هي فى هذه الحالة عبادة تحوّلت إلى حركات يتحرك بها من لا إرادة له ، فى حين أننا نعلم أن إعلان العابد لنيته بأن يعبد ، نقطة جوهرية فى أداء تلك العبادة ، لأن إعلان النية مقدماً ، كأن يقول القائم للصلاة : نويتُ الصلاة ، وأن يقول المتأهب للصوم : نويتُ الصيام ، أقول إن إعلان النية مقدماً معناه : أن العابد يؤدي عبادته عن إرادة واعية واختيار حر

إذن لابد أن يكون إسلام المسلم لإرادته لمشيئة الله ، ذا معنى آخر ، وهو أنّ المسلم يُسخّر إرادته لتحقيق ما أمر الله بأن يتحقق، كما يدعونا إخلاصنا للوطن أن نوجه إرادتنا إلى فعل ما هو صالح للوطن "

حجة التمثيل : analogie

يشير (بيرلمان وتيتكاه) إلى تقنية شبه منطقية ، تعد وسيلة تؤدي وظيفة البرهنة ، وتدفع إلى إقناع الجمهور ، فالتمثيل مواجهة بين بنى متشابهة ، وإن اختلفت مكوناتها .

القاعدة (١) المسلم مسلم لكونه أسلم إرادته لله ، على ألا يتجرّد من إرادته لأنه ينوي أولاً أن يعبد الله .

الدعامة (١) (حجة التمثيل) تسخير الإرادة تعني : تحقيق ما أمر الله (الموضوع) الإخلاص للوطن : يكون بفعل ماهو صالح له (الحامل أو الرافع) وهو (وجه الشبه) ويكون هذا الرافع أشهر من الموضوع .

فالتشابه فى : تحقيق أوامر الله = تحقيق مصالح الوطن .

الاختلاف : الله / الوطن .

فعلاقة المسلم بتحقيق أوامر ربه ، تُشبه علاقة المواطن بتحقيق مصالح وطنه .

(أداة الربط) : كما ، إن " للتمثيل دور مهم فى الحجاج ، ومردّ ذلك أساساً إلى ما يتجه من امتداد ، وتوسّع ، إذ بواسطة الحامل phore يمكن للتمثيل أن يوضح بنية (الموضوع) وأن يصفه فى إطار مفهومي "(٢٨)

القاعدة (٢) تسليم الإرادة لا يعني تسليم العقل .

الدعامة (٢) (مثال عملي) إذا أراد شخص بناء مسجد (هذا هو الهدف الذى وضعته الإرادة) ثم يبدأ العقل فى ترجمة هذا الهدف : من شراء للأرض ، والاستعانة بعمّال البناء .

يقول : " على ان تسليم المسلم لإرادته ، لتتجه نحو ما يرضي الله لايشمل فيما يشمله من معان ، تسليم المسلم لعقله ؛ لأننا لو زعمنا ذلك كنا ننقض أنفسنا بأنفسنا ، وشرح ذلك : هو أن الإرادة وظيفتها : أن تضع الأهداف ، كأن يقول القائل : أريد بناء مسجد بما أنعم الله علي من مال ، فإذا ما وضع الأهداف ، بدأ العقل مسيرته فى سبيل الوصول إلى ذلك الهدف ، من شراء للأرض

الملائمة لبناء المسجد ، والاستعانة بمهندس معماري قادر ، وإنفاق على عمال البناء .. إلخ .
وهذه كلها خطوات من تصميم(العقل) فى خدمة ماوقع عليه اختيار(الإرادة)
وواضح من هذا أن القوة العاقلة فى الإنسان تفقد مبرر وجودها ، إذا هى لم تصب فاعليتها على رسم الخطوات المؤدية إلى تحقيق الأهداف ، فإذا لم يكن لمجتمع الناس فى وقت معين ، أهداف معلومة وواضحة ، تبعثرت قوته العاقلة فى لت وعجن لا ينتهيان بالناس إلى رغيف من الخبز، وكذلك إذا رأينا مجتمع الناس فى مرحلة معينة ذات أهداف معلومة وواضحة لكن عقولهم كالمخدرة
بنعاس ، بيأس أو بضلالة وجهالة ظلت تلك الأهداف معلقة وكأنها أحلام النائمين"

العلاقة بين الإرادة والعقل :

العلاقة بينهما وطيدة . فالإرادة تختار الهدف ، والعقل يخطو نحو تحقيق الهدف .
أما إذا اختلّ أحد هذين الجانبين ؛ مالت الكفة الأخرى ، كالتالي :
أ) إذا لم يكن للمجتمع هدف ؛ تبعثرت قوته العاقلة .
ب) إذا كان للمجتمع هدف ؛ لكن عقول أبنائه مخدّرة ؛ عُلق هدفهم .
الاستعمال العامي : الذى يتفق والجو العام للمجتمع ، ويظهر فى قوله : لت وعجن ، وما يلزمها من : رغيف الخبز، إنه يحاول التحدث بلغة العامة ، ليكون أقرب إليهم ؛ فيؤثر فيهم .
** يتذمر الكاتب من المجتمع الذى لا يحترم تفرّد الرأي الفردي ، ويظهر مايشعر به من إحباطات ، من خلال (حجة التمثيل) التى تعدّ دعامة ، تُيسر للمرء مايقول : "المجتمع الذى يريد أن يخرط أفراده بمخرطة تسوّي بينهم جميعا في الفكر والسلوك ، كما يخرط النجّار قوائم المقاعد والمناضد على مخرطة واحدة ، كي تصبح (طاقماً) واحداً ، هو مجتمع يبعثر فى الهواء هبة الله لعباده "
القاعدة (٣) للفرد تفرّده ،ولا يجوز إهمال هذا التفرد.
الدعامة (٣) (حجة التمثيل) المجتمع يسوّي جميع أفراده فكراً وسلوكاً .
النجاريسوّي جميع القوائم ليكوّن طاقما .
فعلاقة المجتمع بتسوية الأفراد ، تشبه علاقة النجار بتسوية قوائم الخشب .
الاختلاف : مجتمع / نجّار . (أداة الربط) : كما .
النتيجة : مجتمع يبعثر هبة الله لعباده .
ثم يقول :" فإذا سألتني : وكيف – إذن – تريد للأفراد الذين اختلفت أهواؤهم أن يصبحوا (أمة) واحدة ؟ أجيبك بأن العلاقة كما أتصورها بين مختلف الأفراد وما يوحدهم فى أمة واحدة – مصرية ، أو عربية ، أو إسلامية – هى أن تكون (الوحدة) بمثابة (إطار) وأن يكون كل فرد بمثابة عجينة خاصة متميزة تنصب فى ذلك الإطار . فالصورة القومية واحدة ، والمضمونات الفردية متمايزة
ويطوف بخاطري الآن تشبيه جيد ، وهو أن تكون العلاقة بين الطرفين كالعلاقة بين الصورة الرياضية فى علم الجبر ، وما يملأ تلك الصورة نفسها من قيم عددية لتتعين وتتحدد فتصبح جزءاً من علم الحساب . وبالطبع لا حصر للمضمونات

العددية التى يمكن اختيارها لتملأ الصورة الجبرية المفرغة . فمثلا خذ هذه الصورة برموز الجبر :

(س + ص)٢ = س٢ + ٢س ص + ص٢ فهاهنا تستطيع أن تستبدل بالرمزين س ، ص أى عددين أردت ، فتتحول الصيغة الجبرية المفرغة لتصبح صيغة حسابية محددة كأن تختار- مثلا – العددين ٢ ، ٣ بدل الرمزين س ، ص الصيغة التى أمامك (٢ + ٣)٢ = ٤ + ١٢ +٩ = ٢٥ .

فالعلاقة بين الإطار والتى لاحصر لها ، هى كالعلاقة بين إطار قومي وأفراده . فالإطار واحد ، والأفراد الداخلون به متمايزون ، وبهذا يحقق كل فرد فرديته الكاملة دون أن يخرج على الروح القومية الواحدة ، وبهذه الفردية المنتمية إلى أمتها ، يتحقق للإنسان المسلم ما كان متضمنا فى أشهدُ أن لاإله إلا الله ".

حجة السؤال: يستحضر الكاتب قارئه ، ويشعر بتسرّب الغموض إلى نفسه ، فيريد أن يرفع عنه الحرج بذلك السؤال ، فيتساءل : كيف تريد للأفراد الذين اختلفت أهواؤهم أن يصبحوا أمة واحدة ؟ وتأتي الإجابة فى صورة التشبيه التمثيلي Analogies فى هيئة دعم للإجابة، وليست مجرد إجابة ، إنها تقوم على المقارنة بين شيئين ، تربط بينهما صفة مشتركة ، كالآتي

دعم (١) : تمثل الوحدة القومية (إطاراً) ، ويكون كل فرد بمثابة عجينة متميزة تنصب فى هذا الإطار .

دعم (٢) : حجة التعدية : وهى تقنية شبه منطقية تعتمد العلاقات الرياضية العلاقة بين مختلف الأفراد وما يوحدهم ، كالعلاقة بين الصورة الرياضية ، وما يملأها من أعداد . (أداة الربط) كما / كاف التشبيه .

خاتمة المقالة :

يختم مقالته بتلك النتيجة التى يصرّ عليها ، إنها تمثل الأطروحة الأساسية وهى :

النتيجة : يحقق كل فرد فرديته الكاملة ، دون أن يخرج على الرأي السائد .

(الدعامة) بهذه الفردية يتحقق للمسلم ما كان متضمنا فى (شهادته)

الموجهات التعبيرية للنتيجة :

وجّه المؤلف كل طاقته فى الوصول إلى نتيجة محددة ، قد يبدأ بها (العتبات الحجاجية) وقد يختم بها ، ولها دور حجاجي مهم ، وقد جاءت على وجهين :

١) التوجيه الإثباتي : حيث يدعو للتفرد فى هيئته الموجبة ، وهذا هو الأكثر :

١- حق الفرد الواحد فى أن يتفرّد بفكرة معينة .

٢- الحق الذي يبيح للفرد أن يتفرّد بفكرته وعقيدته .

٣- للفرد حريته الكاملة فى عرض الفكرة التى يراها صالحة .

٤- يحقق كل فرد فرديته الكاملة .

٥- مطالبة الدولة بأن تكفل حرية الفرد فى التعبير عن فكره .

٦- انظر إلى هذا الحرف الواحد كم يتضمن من مواثيق تضمن للإنسان فرديته ومسؤوليته.

المفردات التى تخدم هذا التوجيه: حق – يبيح – حرية – يحقق – تكفل – تضمن

الهدف: التفرّد بالفكر والعقيدة .

٢) التوجيه السلبي : توجه الجمل إلى المسار المرفوض ، ويستعمل أدوات نفي بسيطة ، مثل (لا – ليس – دون) يقول :

١- لا يكون فى معنى من معانيه حرمانا لأي فرد ، أراد أن يختلف بفكره .
٢- ليس له ذلك الحق نفسه فى منع الآراء والأفكار التى لاتعجب جمهوره .
٣- دون أن يكون فى ذلك حرمان للفرد المختلف برأيه من الدعوة إلى فكرته بالوسائل المشروعة .
٤- دون أن يتعرّض صاحب الفكرة للأذى .

نلاحظ على الرغم من التكرار فى النفي فإنه يضيف إلى كل عنصر دلالة جديدة .
المفردات التى تخدم ذلك التوجه : حرمان – منع – يتعرّض – الأذى .

نتائج البحث :

أولاً: العنوان ، نجح فى إثارة انتباه القارئ لاعتماده على الاستفهام الذي خرج عن حياديته ؛ إلى الإستنكار ، مما جذبنا لسبر أغواره .

ثانياً: الاستهلال، استدعى المؤلف عبارة (أشهد أن لا إله إلا الله) وهى الحجة التى أقام عليها دعائم مقالته .

ثالثاً: الأطروحة ، وقد استغرقت خمس عتبات حجاجية ، وكانت المعاودة سمة أساسية فى المقالة ؛ فأضفت بعض الملل .

العتبة الأولى : تناولتْ عدة رؤى منها : الشهادة بين السلب والإيجاب ،

عناصر الإقناع : وهى الغاية من الحجاج .

حجة الاستعارة : وهى من تقنيات الحجاج ، ولقد صاغ الكاتب أطروحته فى شكل بياني ؛ مما جعل الخطاب ممتعا .

توجيهات تقييمية: تتمثل فى استعماله للصفة التى تُظهر وجهة نظره.

العتبة الثانية: اشتملت بعض العناصر منها: المعاني (أو المواضع) وهى من الشروط الأساسية لإقامة الحجاج ، وكانت فكرة(الأكثر) هى الغالبة على (الأقل) وتشي بما يبتغيه المؤلف من : النهوض بالفكرة العقلية الصالحة ، وإلغاء سلطة المجتمع .

** النتيجة التى بُنيت عليها المقالة: حق الفرد الواحد فى أن ينفرد بفكرته.

لذلك كانت المادة المعجمية (ف ر د) من المنطوقات المهمة.

**من الحجج الجاهزة: الشاهد القرآني، ويعد أحد وسائل الإقناع ، ولقد اتضحت أهميته فى ارتقائه للسلّم الحجاجي .

العتبة الثالثة: تعبّر عن قطبي الرحى التى تتمحور حولها الأطروحة، لذا اعتمدت الحركة الحجاجية الإفرادية على توجهات تقييمية ، متمثلة فى النعوت التى أطلقها علي صاحب الرأي الفردي وهى ذات دلالات حسنة تجذبنا إليها .

أما الحركة الحجاجية الجمعية ، فتمثلها سلطة (الرأي العام) مما يدل على سير المحاجة فى مسارين متناحرين ، وارتفاع درجة المساجلة بينهما ، مايعني حيادية

الكاتب فى معالجته للفكرة ، فهو يستمع إلى صوت الرأي والرأي الآخر ، على الرغم من استهوائه للفردية .

** تواطأت (حجة الاستدلال) فى النص ، مدعمة بالعقل ، لتولّد قياساً منطقياً

** الحقائق : من شروط الحجاج ، وطفت على سطح الخطاب ، استرجاعاً للتاريخ القديم ، وهى (شاهد تاريخي) يبث المصداقية فى روع المتلقي ؛ لأنه تجربة له .

** الروابط الحجاجية : تحقق الانسجام بين أجزاء النص ، وتقوده إلى تقييم بعينه وقامت الأداتان (بل / لكن) بدور مهم .

** (بلاغة السؤال) إحدى آليات الحجاج ، وتدل على حضور القارئ .

العتبة الرابعة :عالجتُ فيها : الوقائع ، وهى استحضار ذات المؤلف ، وهى رافد حجاجي ينشر المصداقية على صفحات العمل الإبداعي .

(حجة التناقض) تصوّر ملامح العالِم ، حين يبدع فى تخصصه ، ثم ما يلبث أن يمتزج مع الرأي العام فى خرافته .

** دعامة معكوسة ، حين يتجاهل الفرد فرديته ومسؤوليته أمام ربه ، وأمام الناس ، وهى تشي باليأس والإحباط الذى يتسرب أحياناً للمرء ؛ لقهره واضطهاده .

العتبة الخامسة : تتراءى (حجة التمثيل) موضحة العلاقة بين عنصرين متشابهين لكن يختلف مكونهما ، مثل العلاقة بين الإرادة والعقل .

رابعاً : الخاتمة ، وهى النتيجة التى يلحّ فى التذكير بها ؛ وهي : يحقق كل فرد فرديته الكاملة دون أن يخرج على إجماع المجتمع .

** أنهى المقالة بحجة (الشهادة) التي صبغتها بالحبك اللغوي للنص ، والانسجام النفسي للقارئ .

الإحالات :

١)أرسطو : الخطابة ، حققه وعلّق عليه : د٠عبد الرحمن بدوي ، ص ٩
٢)هشام الريفي (دكتور) : الحجاج عند أرسطو ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .
3)Chim Perlman et Tyitca : Traite de l' argumentation- la Nouvelle retorrique , page 5.
٤)ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ح ج ج) ص ٧٧٨
٥)طه عبد الرحمن (دكتور) : اللسان والميزان ، ص ٢٢٦ .
٦)محمود عليمات (دكتور) : بلاغة الحجاج فى النص الشعري ص ٢٥٦ ، ٢٥٧
٧)المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، مادة (ق و ل) ٢/ ٧٧٣
٨)موقع الموسوعة العربية www.arab-ency.com
٩)زكي نجيب محمود (دكتور) : رؤية إسلامية ، ص ١١ .
١٠)سامية الدريدي (دكتورة) :الحجاج في الشعر العربي ، ص ١٤١ .
١١)عبد الله صولة (دكتور)في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) ص ٩٨ .
١٢)السابق : ص ٩٨، ٩٩.
١٣)عبد الحق بلعابد : عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص ، ص ١٥
١٤)زكي نجيب محمود (دكتور) : رؤية إسلامية ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
١٥)محمد الولي (دكتور)الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ص٥٧
١٦)شكري المبخوت (دكتور) : نظرية الحجاج في اللغة ص ٣ ، ١٥ .
١٧)عبد اللطيف عادل (دكتور) : بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص ٢٢٣ .
١٨)سامية الدّريدي (دكتورة) : الحجاج في الشعر العربي ، ص ٦٨ .
١٩)شكري المبخوت (دكتور) : نظرية الحجاج في اللغة ، ص ٣٨٠ .
٢٠)زكي نجيب محمود (دكتور) : قصة عقل ، ص ٥٥
٢١)عبد اللطيف عادل (دكتور) : بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص ٢٣٣.
22)J.C.Anscomber et Osuard Ducrot, L'argumentation dan La langue ,P.115
٢٣) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، ص ١٤٩
24)Jon Woods Douglas : Critique de l'argumentation,P.115
25) Meyer M.Logique : Langage et L'argumentation Page124
٢٦) سامية الدّريدي (دكتورة) : الحجاج في الشعر العربي ، ص ١٩١ .
٢٧) زكي نجيب محمود : قصة عقل ، ص ١٢٥ .
٢٨) عبد الله صولة (دكتور) : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص ٤٣٢ .

قائمة المراجع العربية :

١)الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية : د. محمد الولي
منشورات دار الأمان – الرباط ٢٠٠٥م
٢)بلاغة الإقناع في المناظرة : د. عبد اللطيف عادل ، دار الأمان – الرباط
ط١ ٢٠١٣م
٣)بلاغة الحجاج في النص الشعري : د. محمود عليمات ، مجلة دمشق م٢٩
العدد ٢/١، ٢٠١٣م
٤)الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : د. عبد الله صولة ، من خلال (مصنف في الحجاج لبيرلمان) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس .
٥)الحجاج عند أرسطو : د. هشام الريفي ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج .
٦) الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه) : د. سامية الدريدي ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، عالم الكتاب الحديث .

٧)الخطابة : أرسطو ، الناشر : وكالة المطبوعات – الكويت ، دار القلم –بيروت
لبنان ١٩٧٩م ، حققه وعلق عليه : د. عبد الرحمن بدوي .
٨)رؤية إسلامية : د. زكي نجيب محمود ، الناشر : دار الشروق بالقاهرة وبيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣م
٩) صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، دار الرشيد – سوريا حلب .
١٠)عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص : عبد الحق بلعابد ، منشورات
الاختلاف – الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٨م
١١)في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) : د. عبد الله صولة ، طبع الشركة التونسية للنشر ، ط١ ، ٢٠١١م
١٢)قصة عقل : د. زكي نجيب محمود ، دار الشروق القاهرة- بيروت ، ط٢
١٩٨٨م
١٣)لسان العرب : ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم (٧١١هـ) دار المعارف القاهرة .
١٤)اللسان والميزان (أو التكوثر العقلي): د. طه عبد الرحمن ، الناشر المركز
الثقافي العربي ، ط١ ،١٩٨٨م
١٥)المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، مطبعة مصر ١٩٦١م
١٦) نظرية الحجاج في اللغة : د. شكري المبخوت ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج ، تونس .

المراجع الأجنبية :

1)Critique de L'argumentation : Jon Woods .Douglas ,Kime.
Paris ,1992
2)Langage et argumentation : Meyer M.Logique ,Paris 1982
3)L'argumentation dans la langue : J.C.Anscombre et Osuard Ducrot , Pierre Mardaga editeur ,Bruexelles 1963
4)Traite de L'argumentation – la Nouvelle retorrique : Chim Perlman et Tyitca ,Editions de L'univeriste de Bruxelles – 5 eme , 1992

المواقع الإلكترونية :

١)موقع الموسوعة العربية WWW.arab –eney.com